

(إشكالية العلاقة بين التنصير والحرب الصليبية

في فكر القطلاني "رامون لول" 1232م-1216م)

أ/ الأغويني برق

قسم العلوم الانسانية

جامعة الجلفة

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على أهم أفكار المنصر والداعية الصليبي "رامون لول" الذي عاش في العصور الوسطى المتأخرة والمولود في جزيرة ميورقة سنة 1232م والمتوفي فيها عام 1316م، حيث يناقش إشكالية العلاقة المعقدة بين مشروعه التنصيري الكبير الذي وجهه للمسلمين وبين مشاريعه الصليبية التي حضر وخطط لها، ويحاول المقال أيضا رصد نقطة مهمة في هذه العلاقة وهي أي المشروعين يخدم الآخر وهل هناك تنافر بينهما ؟

كلمات مفتاحية: التنصير، الحرب الصليبية، "رامون لول"

Résumé

Cet article vise à éclairer les idées les plus importantes de l'avocat missionnaire et croisé, "Ramon Llull", qui a vécu à la fin du Moyen Âge et né à l'île de Majora en 1232 et est décédé en 1316, où il discute de la relation problématique Entre son grand projet missionnaire aux musulmans et ses projets de croisade auxquels il a assisté et planifié, et l'article tente également de surveiller le point important de cette relation, quel projet sert l'autre et s'il existe une contradiction entre eux ?

Mots-clés: évangélisation, croisade, "Ramon Llull "

نظرا لتباين الأقاليم واختلاف الطابع البشري في شبه الجزيرة الأيبيرية خلال العصور الوسطى، فإن نسبة تأثير الحضارة الإسلامية في مختلف أقاليم شبه الجزيرة كان متفاوتا. حيث كان تأثير هذه الحضارة مثلا على الثقافة الكاتالانية اقل منه على الثقافة القشتالية، ويرجع سبب هذا الاختلاف في التأثير، الى قرب إقليم قطلونية من الفرنسيين الذين مارسوا تأثيرا لاتينيا كبيرا على هذا

الجزء، إضافة الى هذا، غياب مشروع ملكي في قطلونية من شأنه خلق اتصال مع حضارة المسلمين، كذلك الذي عرفته قشتالة في عهد الفونسو العاشر الحكيم حتى بعد حركة الاسترداد .

ضعف التأثير هذا، لم يمنع من تميز بعض القطلانيين وتشريحهم من معين الثقافة الإسلامية العربية، لعل أبرزهم وأشهرهم على الإطلاق المفكران: "رامون لول" (1232-1316 م) و"أنسلم تورميديا" (1352-1432 م) ، وكلاهما باسرا تحويل المسلمين الى النصرانية إلا أن الثاني يختلف عن الأول بكونه اعتنق الإسلام في النهاية ودافع عنه، في حين أن "رامون لول" واصل مشروعه التنصيري وتبنى العديد من النظريات الصليبية، كما كرس حياته في سبيل تحقيق الأهداف التي سطرها من اجل مشاريعه.

هناك ميل ونزعة في بعض الدراسات الحديثة تنظر إلى رامون لول كنوع عادي من الرجال الذين عرفتهم القرون الوسطى الأوروبية، ولعل ذلك يعود إلى السبب في كون الجزء الأكبر من مؤلفاته أشار إلى أغلب المواضيع الممكن تخيلها. والحقيقة أن هناك أخطار ملازمة لمثل هذا المدخل، أعظمها متوقف على حقيقة لا مفر منها وهي أن لول كان من دون أي شك خياليا كثير الرؤى. حتى أنه أطلق على نفسه لقب: Phantasticus⁽¹⁾. من جهة أخرى، يتجه بعض المؤرخين إلى عزل أفكار لول عن بعض المواضيع بشكل تام، أو اعتبار أفكاره مجرد توثيق ذو قيمة لحب الاستطلاع، والسبب يعود على وجه التدقيق إلى شذوذه واختلافه المركزي عن الآخرين من معاصريه⁽²⁾.

كانت الحروب الصليبية والبعثات التنصيرية مرتبطتين بشكل جد مباشر في مقترحات رامون لول. حيث روج لحملة صليبية هدفها فتح الأراضي التي تخضع لحكام مسلمين وفتحها للمبشرين المسيحيين⁽³⁾. كما أصرّ لول على أن تصاحب الجيوش الصليبية مجموعة من المبشرين المسيحيين المدربين على التقنيات التنصيرية، وخصوصا على الفن اللولي. في كتاب "الغاية De Fine"، يناقش بأن هؤلاء المنصرين قد يأخذوا على عاتقهم مهمة الرعاية الروحية للصليبيين، وأنهم بإمكانهم كتابة وترجمة الاتصالات بين الجيشين، والأهم من ذلك، أنه يمكنهم تعليم وثقيف الأسرى، سواء من تم تنصيرهم أم لا، والذين يمكن استخدامهم في الانخراط في المنازعات والنقاشات الفكرية المتعلقة بالايمان المسيحي مع المسلمين. حتى أن بعض المنصرين تم إرسالهم إلى أراضي الحكام المسلمين، ليعرضوا عليهم الثروة المادية، والقلاع والمدن، إذا وافقوا على التحول عن دينهم. في حين أن بعض المنصرين تم استخدامهم كجواسيس، وفي الوقت نفسه، يمكنهم أن يمارسوا الوعظ في جميع الأراضي التي سافر إليها الصليبيون⁽⁴⁾.

في كتابه " Opusculum Tripartitum المقالة الثلاثية "، يُعبّر "همبرت رومان" "Humbert of Roman" عن رأيه بصراحة ضد أولئك المنتقدين للحملة الصليبية ممن اشتكوا أن تلك الحروب لم تكن ملائمة للمسيحيين بسبب سفكهم للدماء حتى وإن كانت دماء الكفار الأشرار، لأنها كانت ضد تعاليم المسيح نفسه. ويرسم مقارنة بين سيادة المسيح على جميع أنحاء المعمورة وبين رعاية المزارع لحقل الكروم الخاص به، ويواصل همبرت نقاشه بالقول أنه في بعض الأحيان تجلب بعض الأشياء في اتجاه واحد، وفي وقت معين، ولكن من أجل الحفاظ عليه، فإن سلوك اتجاه آخر يصبح أمر ضروريا. فكما يحتاج العنب إلى الزرع والسقي وأشعة الشمس ليحافظ على إنتاجه وحياته، تحتاج الأرض إلى السيف للحفاظ عليها. في حالة الكنيسة، وما كانت تروج له بواسطة معجزات، ومشاعر القديسين، والعقيدة المقدسة، وليس عن طريق السلطة (الدينيوية)، وجب الآن الدفاع عنها من أعدائها بالسيف ولاشيء غيره. وإذا حدث خلاف ذلك، فإن الرب لن يعطي الكنيسة هذه السلطة⁽⁵⁾. ما يصفه همبرت هنا هو أن المجتمع المسيحي بما تعنيه الفكرة الحديثة غيبته السلطة الفاسدة وألغت حضوره. على العكس من ذلك، كان معظم المسيحيين في العصور الوسطى، إشارة

على قوة الله، وكانوا بمثابة الهبة منه. ومن ذلك لا ينبغي أن نندهش بأنه في مجتمع يعتبر حقيقة أن اليهود خاضعون للمسيحيين لتكون دليلاً على أخطائهم، السلطة الزمنية للكنيسة و للعالم المسيحي كمن اكتسب القوة الجدلية بأكملها⁽⁶⁾.

فهم لول للحرب الصليبية متوافق كثيراً مع الافتراضات اللاهوتية التي تقبع وراء حجة همبرت. فإذا لم تكن الأساليب السلمية فعالة في إحداث الوحدة المسيحية، عندئذ يتم اللجوء إلى القوة. لقد رأينا هذا في منهج لول الموجه للاغريق. الذين في حالة رفضهم وعدم اقتناعهم بحججه القوية وإستمرارهم في الانشقاق، فإن حجم الضرر الذي يوقعونه بالإيمان المسيحي يفوق حجم الضرر الذي يحدثونه إذا تم إقناعهم عن طريق استخدام القوة. لكن هذه قضية هامشية خاصة إذا تعلق الأمر بالمسلمين حينها يصبح لول أكثر دهاء، ويظهر بجلاء غرض الحرب الصليبية، التي ستنجز خدمة للبعثات التنصيرية، وأن عدم رغبة المسلمين في إعتناق المسيحية لهو العامل الوحيد الذي يبرر الحملة الصليبية. في الواقع، في كتاب النهاية "De Fine"، يناقش لول فكرة أن الحرب الصليبية هي عمل له صلة بالحب، ويقتبس عن إنجيل متى 22:37 ويقول: "مكتوب في الوصية الأولى: سوف تحب سيدك إلهك من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل قوتك. وبالتالي السيد البابا، وأيضا السادة الكرادلة يجب أن يتنازلوا عن عشر الكنيسة لاسترداد الأراضي المقدسة. ونظرا لأنه يمكنهم فعل ذلك، لصفة هذا العمل الجيد، فأى شئ محمود موصى به كما في الأعلى"⁽⁷⁾. ويختتم لول هذا القسم من أطروحته الصليبية بالقول أن هذا التنسيق جيد، وممكن، وأنه ينبغي أن يتم وفقا لمبدأ من مبادئ الله التي سبق ذكرها. "وإذا لم يتم قبول ذلك، فإن الخطر عظيم للغاية، لأنه أمر من قبل الله"⁽⁸⁾. وقد تولى لول هذه المهمة لتنفيذها حرفيا بكل ما أوتي من قوة، وحسبه في ذلك حب الله على ما يزعم، وذهب إلى المرافعة عنها ببلاغة متناهية أمام البابا وكرادلته من أجل إنجاز مقترحاته.

يُعتبر مؤلف لول "كتاب النهاية De Fine" الأطول والأكثر تفصيلاً لأطروحته حول الحروب الصليبية. ففي مقدمة هذا العمل، يشير لول إلى العلاقة بين الحملات الصليبية والتنصير المسيحي السلمي. يقول القارئ (في الواقع خلال هذه اللحظة هو يخاطب الإله) بأنه يثبت للبابا، وكرادلته، والأمراء الآخرين للعالم، كتابة وشخصيا على حد السواء، وبقدر ما يستطيع على الوجه الأحسن، الوسائل التي يمكن من خلالها، تحويل الكفار واستعادة الوحدة للإيمان الكاثوليكي عن طريق استرداد القبر المقدس جنبا إلى جنب مع القدس والأراضي المقدسة"⁽⁹⁾. ويظهر من مخطط الكتاب كذلك، أن الحرب الصليبية تلعب دورا ثانويا فيه. في التمييز الأول لهذا العمل يكرر لول ذكر مخططاته للدراسات التنصيرية والخطوط العريضة لمختلف الحجج، وترتكز كلها على فنه الأعظم، والتي بموجبها يمكن أن يقتنع المنشقون والكفار بعقلانية الحقيقة العقائدية المؤيدة من طرف الكنيسة الرومانية. تحتل الحرب الصليبية المركز الثاني، ويتم عرض موضوعها فقط بعد يشرح لول وبشكل بليغ و جد ملح الوضع الذي تعيشه المسيحية. ولا يعتذر لول هنا عن استخدام القوة ضد غير المؤمنين بالمسيحية. ومثله مثل همبرت رومان، لا يرى أمام ناظره سوى سطوة القوة التي يعتبرها أداة مشروعة للكنيسة. في الواقع، يقدم تمييزه عن الحرب الصليبية على النحو التالي: "وهذا التمييز (على البعثات) يدل على السيف الروحي، وهي الحقيقة ضد الباطل، والجهل والخطأ". ثم يتبعها بمناقشة السيف الثاني، أي الجسدي، وبمجرد أن يندمج الروحي والجسدي في الشخص، فهذين السيفين يكفيان⁽¹⁰⁾.

على الرغم من هذه الفكرة قد تبدو حيلة بلاغية بيانية فقط، إلا أن فكرة السيفين هذه مهمة لفهم العلاقة بين البعثات التنصيرية و الحروب الصليبية في فكر لول. إنطلاقا من لمحة عامة بشأن الموضوعين، من الواضح أن لول يعتبر أن الحروب

الصليبية موضوعة لخدمة البعثات التنصيرية، أو كالمصطلح الذي يستخدمه المؤرخ "بينيامين كدار" الصليبية لترقية التنصير" (11). وهذا جلي في دراسة لول المعنونة بـ "Phantasticus"، والتي كتبها خلال انعقاد مجمع فيينا، حيث يقول في حوار متخيل (نقاش وهمي بين رجال الإكليروس ورامون): "لدى الكنيسة العالمية الكاثوليكية سيفان اثنان، كما هو مذكور في الإنجيل، زمني، يفيد المعنى الشائع المتداول، أي سيف جسدي، وهذا حرفيا السيف الأول، وآخر روحي، وهو سيف المعرفة والتفاني أو العلم والعبادة. ومع وجود هذين السيفين، فالكنيسة لديها ما يكفي لقيادة جميع الكفار إلى طريق الحقيقة. إذ ينبغي أولاً أن يرسل البابا رجالاً حكماء ومتعلمين، على استعداد لتحمل الموت، إلى السراسنة (المسلمين) والأتراك والتتار، لإظهار أخطاء الكفار وتنويرهم بحقيقة الإيمان الكاثوليكي المقدس، بانتظار أن يتقدموا من تلقاء ذاتهم إلى المعمودية. أما في حالة المقاومة العنيفة، يتعين على البابا إذاك استخدام السيف العلماني ضدهم. هذا النظام مسموح به ومطلوب، إن ثار ضده أي شكل من الأشكال الحماسة واللوم" (12).

وعن الفكرة الواردة في هذا النص، يقول "جوزيف لوكير"، أنه لا يلزم عنها إطلاقاً أن إكراه غير المؤمنين على الإيمان أمر واجب في حال فشل البعثات السلمية، لكن رامون لول ينصح، على غرار القديس توما (13)، بعملية إخضاع سياسي لأولئك الكفار الذين يقتلون المرسلين ويضطهدون المسيحيين. وهذا الإخضاع لا يُجبرهم على الإيمان بل يترك الحرية، فقط، لجماعة الذين يعظون بالإنجيل (14).

ويستخدم "بينيامين كدار" هذه الفقرة لمناقشة فكرة أن لول يؤمن بالتنصير القسري (15). ولكن وجهة النظر هذه تحتاج إلى رؤية أخرى. فبالنسبة للول، العلاقة بين الإقناع السلمي والقسري هي علاقة جد دقيقة ويجب أن تكون مفهومة في سياق أوسع من المثل العليا التي تبلغ عن فكره. في الحقيقة، كانت كل من أنشطة البعثات التنصيرية والحروب الصليبية تضطلع لخدمة قضية أعظم (16). ولأن لول تحرى المثالية، فإنه كان لديه الكثير من الثقة في إمكانات "فنه الأعظم" للإقناع الفكري، وهو أمر جعله يأمل بالنهوض بالقضية المسيحية فقط عن طريق الوسائل السلمية. لكن لول اتسم بالواقعية حينما اعترف بأن السلطة الأرضية (الزمنية) كانت ضرورية في بعض الأحيان وإعتبر توافر تلك السلطة في يد الكنيسة بمثابة الهدية من الله. وهذا هو المغزى من استخدامه الاستعارة الخاصة بالسيفين الروحي والجسدي في كتاب النهاية و أعماله الأخرى. في بداية "كتاب النهاية" يوظف لول استشهادات دينية جد هادفة لربط عدة أفكار رئيسية من أجل فهم العلاقة بين التنصير والحرب الصليبية في فكره: الاستخدام المكمل والمتمم لبعضه البعض لكل من الإقناع والقوة ضد غير المؤمنين بالمسيحية، الوضع المسيحي الذي يتطلب مطالب ملحّة، وفكرة أن يتم إنجاز هذه الأنشطة كعمل من أعمال الحب. يقول لول في هذا الصدد: "ثم قال الحواريون للمسيح (لوقا 22:38): أنظر، هاهنا سيفان. أجاب، إنهما كافيان. ومن خلال هذا الحوار فهو موضوع سابق يخبر عن وجوب القتال عن طريق الوعظ وبواسطة السلاح ضد الكفار. وأنت لا تعرف أن المسيح قال (متى 12:30): من ليس معي، فهو ضدي. وأنه قد أمر بهذه المهمة على نحو مجازي، بقدر ما قال (متى 22:37): أحب سيدك إلهك من كل قلبك، وروحك وقوتك" (17).

تزايد حدة فكرة أن السيفين الروحي والجسدي هي هبات إلهية من خلال حقيقة أن لول يشير أيضاً إلى هذين السيفين ككائنين روحي وجسدي. وهي المصطلحات التي يستخدمها لول في عريضته المقدمة إلى البابا سلسنتين الخامس المتعلقة بتحويل الكفار. في هذا العمل الموجز، يطلب لول من البابا أن يفتح خزانة الكنيسة المقدسة حتى يتسنى لجميع من أخطأوا أن يلتمسوا ضوء الحقيقة

ويتبعوا الغاية التي خلقوا من أجلها. ويتضمن الكنز الروحي إعداد المنصرين ومن الوعظ، أما الجسدي فيشتمل على تحصيل العصور لغزو أراضي الكفار والأراضي المقدسة بقوة السلاح. وينبغي أن تتواصل كلتي المهمتين حتى يصبح العالم بأكمله مسيحياً⁽¹⁸⁾. في كتاب "استرجاع الأراضي المقدسة"، يدخل لول شيئاً مميزاً إضافياً في هذه الاستعارة، وهنا يتحدث عن الكنز الثلاثي الأضعاف: المالي، الجسدي والروحي⁽¹⁹⁾. في متن النص، ينقسم الكنز الجسدي إلى أسلحة وعشور. تحسين وتهذيب لول لهذه الاستعارة في "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة" وتكراره لها في كل مرة، هي إشارة أخرى إلى أن هذه الفكرة جزء لا يتجزأ من فكره حول مشكلة العنف بدل أن تكون أداة أدبية محضة. علاوة على ذلك، إشارته لثروة الكنيسة، والتي يجب أن توجه نحو قضية التنصير والحرب الصليبية، ويشير إلى علاقة التكامل بين هذه المساعي وإصلاح الكنيسة⁽²⁰⁾. أخيراً، يسمح لاهوت العصور الوسطى بتفسير إستعارة السيفين ليشمل مفاهيم العتاب الروحي، والعقاب المادي والقوة القسرية. مثل هذا التفسير الواسع يعطي دعماً إضافياً للفكرة القائلة بأن الحرب الصليبية يمكن أن تكون عملاً يكرس الحب⁽²¹⁾.

يدعي لول في "كتاب استرجاع الأراضي المقدسة"، بأن الأمور الثلاثة بحاجة ماسة إلى الحكمة، القوة والحب من أجل إسترداد الأراضي المقدسة⁽²²⁾. ويمكن ملاحظة العديد من حالات إعتراؤه المتقطع بدور السلطة في إنجاز مهمة جلب العالم بأكمله لإحتضان حقيقة الإيمان المسيحي. مع ذلك، من المهم أن ندرك أن مسألة العلاقة بين الإقناع السلمي واستخدام القوة حدثت للول في أكثر من مناسبة حيث خاطب المشكلة بشكل مباشر. وكمثال على ذلك، في "كتاب البحث عن المزامير Liber super Psalmum 'Quicunque Vult'"، تسأل أساليب لول بعضها البعض فيما إذا كان تحويل الكفار عن طريق الأساليب الرسولية ذا فائدة للكنيسة أو إخافة الكفار بواسطة قوة السلاح وتنصيرهم هو أكثر منفعة للكنيسة. وبشكل ملحوظ، يترك لول هذا الاستفهام دون إجابة⁽²³⁾. وفي السيرة الذاتية "Blanquerna"، يذكر لول بأن السلطان أوفد رسولاً إلى البلاط البابوي ليندهش بأن المسيحيين يستعملون القوة لتحويل غير المؤمنين بالمسيحية تماماً مثلما يفعل المسلمون. هذا ما ألهم البابا لتنظيم مؤسسات تنصيرية على نطاق واسع⁽²⁴⁾. لكن نفس العمل، في فصلين اثنين فقط، يحكي عن فارس ذهب لقتال بعض المسلمين الذين أستشهد على أيديهم في ذلك الحين فيلسوف وواعظ. وعانى الفارس بدوره من أجل الاستشهاد، "وهو يسبح الله في ساحة الحرب". ثم يطرح سؤالاً على شاكلة من خدم الله بشكل مثالي وأحسن، الفيلسوف، الواعظ أم الفارس. لأن المناقشة التي تلت ذلك ولدت الكثير من موجات التقوى، لذا قرر البلاط البابوي عدم الإجابة عن هذا السؤال⁽²⁵⁾.

ومن الأمور المتعلقة بهذه المسألة، قضية فشل الحروب الصليبية في زمن لول. حيث يتناول هذا السؤال بشكل مباشر، ويكتب في "Liber de contemplació" كتاب التأمل "ما نصه: "أرى الكثير من الفرسان يذهبون إلى الأراضي المقدسة تحذوهم فكرة غزوها بقوة السلاح، وفي النهاية يدمرون كل شيء بدلاً من تحقيق الهدف الذي سعوا من أجله. من هنا، يبدو لي أن اكتساب الأراضي المقدسة واجب بدل الطريقة التي قمت بها، أه إلهي، وحواريك، مع الحب والصلوات، ينهمر الدم والدموع"⁽²⁶⁾. لكن هذه الفقرة تقدم في سياق المناقشة المتعلقة بشأن الدور المناسب للفرسان في العالم. وأحد واجباتهم "محاربة الكفار والهرطقة الذين يرغبون في تدمير العقيدة الرومانية المقدسة". ويستفيض لول في الكلام مقراً بأنه مثلما يتمثل دور رجال الدين في تسبيح الإله والصلاة نيابة عن الناس، فإن لدى الفارس واجب القتال من أجل الإيمان⁽²⁷⁾. ويبدو واضحاً أنه على الرغم من أن الأسلوب المفضل للتنصير هو الطريقة الرسولية، فإن استخدام القوة لا يمكن التغاضي عنه تماماً.

كيف إذا يشرح لول فشل الصليبيين في إستعادة الأراضي المقدسة، ناهيك عن حقيقة أن هناك الكثير من الكفار في العالم يفوقون عدد المسيحيين بأضعاف مضاعفة؟ ففي كتاب الـ "Phantasticus"، يعطي لول عددا من أسباب الفشل، منها إمكانية أن يكون ذلك الفشل بسبب أن أولئك الذين يذهبون إلى الأراضي المقدسة يحاولون الحصول عليها لأنفسهم وليس من أجل الله، وبالتالي فدوافعهم فاسدة. سبب آخر عدده لول هو إمكانية أن الصليبيين لم يتم إعدادهم لمهمتهم بشكل صحيح. فضلا عن ذلك، أنه حتى المنصرون أنفسهم كانوا غير مستعدين، ولا يعرفون لغتهم الخاصة بشكل سليم⁽²⁸⁾. ويرجع لول في كتابه "De Consilio"، سبب حالة التخلف التي يعيشها العالم، بما يعيشه من حكم الكفار للأراضي المقدسة، وفشل الصليبيين في إستعادتها، إلى الضعف الكبير الذي عانى منه جزء من الأمراء والأساقفة الذين اتبعوا النصيح السيئ وسمحوا لأنفسهم بالانحراف عن الغرض الحقيقي⁽²⁹⁾. ويظهر لول أكثر صراحة، في كتاب استرجاع الأراضي المقدسة، حيث يقر بأن الفشل هو نتيجة للسلوك الآثم⁽³⁰⁾.

شملت أفكار لول التنصيرية عدة عناصر أساسية منها: الثقة في قوة العقل البشري لفهم العقيدة المسيحية، والإقتران بأن البراهين العقلانية يمكن أن تستخدم بنجاح لتحويل المسلمين واليهود، وتطوير الفن وإنشاء الدراسات التنصيرية لتوفير وسائل الإقناع السلمية. أيضا كان حاضرا منذ البداية إعتقاد لول بأن الرغبة في الموت في محاولة لتحويل العالم كله إلى المسيحية كان الصفة الأساسية لدى المنصرين المسيحيين. وكان لول مرنا في نهجه المتبع فيما يخص البعثات التنصيرية، إذ أنه تبني تشكيلة واسعة من الأساليب، بداية من المناظرات والسجلات السلمية إلى مرافقة الدعاة التنصيريين للجيوش الصليبية. إمتدت هذه المرونة إلى مخططاته الصليبية التي أعطت دليلا على واقعيته، ودهائه السياسي، وفهمه للإستراتيجيات العسكرية وغيرها من جوانب الدعاية الصليبية المعروفة في عصره. ومثل المنصرين، كان على الصليبيين أن يكونوا على إستعداد لمعاناة الاستشهاد من أجل المسيح. المثل الدينية العليا التي بلغت عنها مقترحات لول أملت بأنه تبني تصورا واسعا للحرب الصليبية، جغرافيا وأديولوجيا. وأخيرا، رأينا أنه في ذهن لول، كانت البعثات التنصيرية والحروب الصليبية مرتبطتين بطرق مختلفة. ولم يناقش لول الحرب الصليبية دون الدعوة أيضا إلى التنصير السلمي. علاوة على ذلك، على الرغم من أنه دعا إلى حملة صليبية خدمة للبعثات التنصيرية، فإن فكره أكثر تعقيدا ودقة من هذه الفكرة. حددت مخططات لول الصليبية والتنصيرية بإفتراضات لاهوتية ودينية والتي شكلت فكره ككل. وبالتالي فإنه في سياق فهم لول لغرض البشرية ونظرتيه للمجتمع المسيحي يجب أن نبحت بمزيد من التبصر في العلاقة بين التنصير والحرب الصليبية.

يرى فصيل من الدارسين السائرين في النهج الكنسي أن لول كان يرمي إلى قيام حملة صليبية ذات طابع جديد، حملة لا يكون قوامها السيف بل الحب ونشر التعاليم المسيحية على المذهب الروماني. فهذا النهج الجديد في نظر لول أجدى في اجتذاب المسلمين إلى الديانة المسيحية، بينما أخفقت القوة والعنف في ذلك. ولكن من يتمعن في كتاباته وحياته يحس تحمسه لفكرة إعداد حملة صليبية توجه ضد المسلمين. فهو إذا لم يفقد الثقة بعد في القيمة الحربية للحملة الصليبية كما توهم المؤرخون المنادون للفكرة الأولى. وكل ما في الأمر أن لول يرى أن البعثات التنصيرية جزء متمم للعمليات الحربية.

الهوامش:

(1)- وردت هذه الحادثة المشهورة على وجوه مختلفة في الرسائل المعروفة بـ: Phantasticus أو Disputatio Petri et Raimundi , edited in ROL v.16. ويعيد لول ذكر هذا الوصف عن نفسه في قصائد مختلفة إلى جانب أبحاث أخرى. فكرة الـ Phantasticus

تتصل بدون شك بشخصية المغفل الذي يظهر في رواياته "بلاكورنا" Blaquerne . الاستعمال الفلسفي لهذا المصطلح كوسيلة من اجل الحقيقة طبقه لول عمليا من اجل البحث والتقصي ومع ذلك فان له أهدافا أخرى توخاها من هذا البحث.

(2)- أنظر على سبيل المثال : Norman Daniel , Islam and the West : R.W. Southern , Western Views of Islam , p.72 , n.12 ; the making of an Image , (Idinburgh , 1960) , passim ; Christopher Tyerman , "sed Nihil Fecit?" the last Capetians and the Recovery of the Holy land , "War and Government in the Middle Ages , ed. J.Gillinham and J.C. Holt , (Bury St. Edmunds , 1984) , الذي وصف مخططات رامون لول بالغير واقعية بالمرة ، وكذلك فعل A.J. Forey , مع احترامه لمخططات لول المتعلقة بالهينات العسكرية في مقاله المطول المعنون: "The Military Orders in the Crusading Proposals of the late thirteenth and early fourteenth century" , Traditio 36 , 1980 , pp.317-345.

(3)- نجد جملة من الأمثلة الدالة على هذا النهج وبعض الاختلافات عن الخطة الرئيسية في السيرة الذاتية، أنظر : Lull , Blanquerne , chs. 80-82 , OE , Vol.1 , pp.232-237 ; ch.87 , pp.246-247.

(4)- أنظر : Lull , De Fine , II.6 , pp.282-284 ; Tractatus de modo convertendi infideles , pp.100-101.

ومن المثير للإهتمام ملاحظة إزدراء لول للمسلمين الذين قدموا رشاي للمسيحيين كوسيلة لحثهم على التحول إلى الإسلام،

أنظر : Lull , De Acquisitione , f.547^{va}.

(5)- أنظر : Humbert of Romans , Opusculum Tripartitum , p.191-192.

(6)- أنظر بعض الامثلة على هذه الحقائق في : Lull , Felix , I , trans. A. Bonner , Selected Works of Ramon Llull , Vol.2 , pp.710-711.

(7)- أنظر : Lull , De Fine , II.1 , p.271¹.

(8)- أنظر : Lull , De Fine , II.1 , p.271.

(9)- أنظر : Lull , De Fine , prologus , p.251.

(10)- أنظر : Lull , De Fine , I.5 , p.269.

(11)- أنظر : Kedar , Crusade and Mission , pp.189-199.

(12)- أنظر : Lull , Disputatio clerici et Raymundi Phantasticus , IV , p.28 :

تجدر الإشارة إلى أن العديد من المعاني المجازية للكلمة اللاتينية " ensis " تشمل "الحرب" و "النفوذ الملكي".

(13)- أنظر: لوكير (جوزيف) ، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح ، تر. جورج سليمان ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2009 ، ص.115.

(14) - نفسه ، ص.116.

(15)- أنظر : Kedar , Crusade and Mission , pp.197-198.

(16)- مثل التنصير للول هدفا للبشرية وخلصها، لذا لم تكن مشاريعه التنصيرية موجهة فقط للمسلمين، بل تعدتها لليهود والفئات المنشقة عن الكاثوليكية.

(17)- أنظر : Lull , De Fine , I.1 , p.255

(18)- أنظر : Lull , Petitió de Ramon al Papa Celestí V per a la conversió dels infidels , ed. Perarnau , pp.32-35

(19)- أنظر : Lull , De Acquisitione , II.6 , f.547^{ra}

(20)- اهتم رامون لول كثيرا بقضية الإصلاح داخل حظيرة الكنيسة الكاثوليكية، ويرى أنه لا يمكن المضي في المشاريع التنصيرية والصليبية دون إصلاح الداخل المسيحي.

(21)- أنظر : G. Lander , "The Concepts of Ecclesia and Christianitas and their Relation to the Idea of a Papal Plenitudo Potestatis from Gregory VII to Bonifacio VIII" , Sacerdozio e regno da Gregorio VII a Bonifacio VIII , Rome , 1954 , pp.57-58 ; Jonathan Riley-Smith , "Crusading as an Act of Love" , History , 65 , 1980 , pp.177-192.

وحول إمتداد هذه الفكرة إلى الحرب السياسية، أنظر : E. Kantorowicz , " Pro patria mori in Medieval Political Thought " , American Historical Review , 56 , 1950-1951 , p.482.

(22)- أنظر : Lull , De Acquisitione , prologus , f.544^{vb}

(23)- أنظر : Lull , Liber super Psalmum 'Quicunque Vult' sive Liber Tartari et Christiani , pars 35 , "De baptizazione Tartari" , n.10 , MOG , Vol.4 , p.376.

(24)- أنظر : Lull , Blanquerna , ch.80 , p.229.

(25)- أنظر : Ibid , ch.82 , pp.236-237.

يعالج عمل آخر هذه المسألة بشكل مباشر، أنظر: Lull , Ars iuris. وانظر كذلك المقتطفات التي حررها بنيامين كدار : Kedar , Crusade and Mission , pp.225-228.

(26)- أنظر : Lull , Libre de Contemplació , Vol.3 , ch.112 , no.10 ; ORL , Vol.4 , pp.58-59

(27)- أنظر : Lull , Libre de Contemplació , ch.112 , no.29 ; ORL , Vol.4 , pp.62-63.

قارن هذه الفكرة وبين تلك التي وردت في مؤلف لول "Libre del Orde de Cavallería الفرسان" ، أين يصرح أنه مثلما تم إختيار رجال دين من قبل الله للحفاظ على الإيمان المقدس عن طريق الكتاب المقدس والحجة، فإن الله يختار أيضا فرسانا لقهر الظالمين بقوة السلاح. أنظر:

Lull , Libre del Orde de Cavallería , II , ORL , Vol.1 , pp.212-223.

(28)- أنظر : Lull , Phantasticus , Vol.5 , p.29 ; Ibid , De Fine , I.1 , p.254.

وحول نفس الإهتمام لتركيز لول على نية الحق والإعداد المناسب، أنظر:

Ricoldo Da Monte Croce , Libellus Fratris Ricoldi ad Nationes Orientales , in A. Dondaine , ed. , " Ricoldiana. Notes sur les œuvres de Ricoldo da Montecroce" , Archivum Fratrum Praedicatorum , 37 , 1967 , "Regule generales" , pp.168-170.

(29)- أنظر : Lull , De Consilio , prologus , ROL , Vol.10 , p.120 ; Ibid , II.6.186 , p.214.

وأنظر أيضا : Lull , De Praedicatione , 37.II.2 , ROL , Vol.5 , pp.145-146 ; Ibid , Liber Clericorum , "Hec ait Remundus" , ORL , Vol.1 , pp.385-386.

(30)- أنظر : Lull , De Acquisitione , II.2 , f.546^{va}.